حديث: إذا مشت أمتي المطيطاء

دراسة حديثية تحليلية في ضوء السنة النبوية الشريفة

الباحثان

د / يونس علي عبد المجيد سليمان

دكتوراه في الحديث الشريف وعلومه – جامعة الأزهر

د / محمد يوسف الشطي

أستاذ مشارك في كلية التربية الأساسية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين الذين﴿ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف آية: (١٥٧)].

وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظ كتابه العظيم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر آية: (٩)] يقول العلامة ابن كثير – رحمة الله: «**ثم قرَّر تعالى أنه هو الذي أنزل عليه الذكر وهو القرآن، وهو الحافظ له من التغيير والتبديل**»[(١)]. وأن من حفظ الله عز وجل لهذا القرآن حفظ ما يبينه وهي السنة المطهرة – على صاحبها والسلام – التي ذكرها الله ﷻ بقوله تعالى:﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل آية: (٤٤)].

يقول العلامة ابن كثير – رحمه الله تعالى: «ثم قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ يعني القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي من ربهم لعلمك بمعنى ما أنزل الله عليك وحرصك عليه واتباعك له ، ولعلمنا بأنك أفضل الخلائق، وسيد ولد آدم ، فتفصل لهم ما أُجمل وتبين لهم ما أشكل ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ أي ينظرون لأنفسهم فيهتدون فيفوزون بالنجاة في الدارين»[(٢)].

ومن حفظه تعالى للسنة النبوية حفظه الطرق الموصلة إليها وهو ما يسمى بالإسناد وقد خصت هذه الأمة بالإسناد من بين سائر الأمم تثبيتًا لنصوصها وأحكامها وتبليغها من سلفها لخلفها. وقد كان الإسناد الشرط الأول في كل نقل حتى

---

(١) تفسير ابن كثير : ٥٢/٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٥٧/٤

للكلمة الواحدة يتلقاها اللاحق عنا لسابق.

وقال الإمام الحميدي شيخ الإمام البخاري – رحمه الله – وهو الحافظ الفقيه الإمام الحجة صاحب المسند «**والله لأن أغزو هؤلاء الذين يرُدون حديث رسول الله ﷺ أحبَّ إلى من أن أغزو عدتهم من الأتراك**»[1].

وقال يحيى بن معين – رحمه الله تعالى – «**الذب عن السنة أفضل من الجهاد في سبيل الله**»[2].

قال الإمام جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي رحمه الله تعالى ت ٧٤٢هجرية «فأما الكتاب العزيز، فإن الله تعالى تولى حفظه بنفسه ، ولم يكل ذلك إلى أحد من خلقه ، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، فظهر مصداق ذلك مع طول المدة، وامتداد الأيام، وتوالي الشهور، وتعاقب السنين، وانتشار أهل الإسلام، واتساع رقعته.

وأما السنة، فإن الله تعالى وفق لها حفاظًا عارفين، وجهابذة عالمين، وصيارفة ناقدين، ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فتنوعوا في تصنيفها، وتفننوا في تدوينها على أنحاء كثيرة وضروب عديدة، حرصا على حفظها، وخوفا من إضاعتها.

ومن تيسير الله عز وجل ولطفه وتوفيقه ما أشار علينا فيه بعض أهل العلم بدراسة حديث «**إذا مشت أمتي المطيطاء ...**» فاستخرنا الله عز وجل وفوضنا أمرنا إليه وشرعنا في دراسته وبيان فقه على قدر وسعنا وطاقتنا وهو جهد المقل المتطفل على موائد العلماء السابقين – رحمهم الله تعالى – ورحم الله أبا عمرو بن

(١) سير أعلام النبلاء : ٦١٩/١٠ ، وترجمته ٦١٦/١٠ ، وكلامه محمول على المبالغة في تعظيم أمر الدفاع عن السنة وتحذير شديد من خطورة منكرى سنة رسول الله ﷺ على الأمة وثوابتها.

(٢) سير أعلام النبلاء : ٥١٨/١٠.

العلاء البصرى التابعي الجليل أحد القراء السبعة وأحد أئمة الحديث والقرآن والقراءات والعربية وغيرها المولود سنة ٧٠هـ والمتوفى سنة ١٥٤ وقال «ما نحن فيمن مضى إلا كبقل في أصول نخل طوال»[1]، وقد اهتم علماء السنة بالتأليف في رجال الحديث وأسانيدها ودراستها، واتخذت مؤلفاتهم مناهج متعددة ، وطرقا متنوعة في خدمة السنة النبوية ، فمنهم من ألف في خدمة الرواة والرجال الذين نقلوا الحديث فألف في الثقات، ومنهم من ألف في الضعفاء ، وألف بعضهم في رواة السنة عموما ، واهتموا كذلك بالحديث نفسه فألفوا في شرحه وبينوا معناه ووضحوا إشكالاته ومختلفه ، وما يظهر فيه التعارض وأبانوا غريبة ونحو ذلك ، ومازالت عناية العلماء مستمرة في خدمة السنة المطهرة جمعًا وشرحًا وانتقاء وكان من طرقهم في خدمة السنة النبوية ما يسمى عند علماء الحديث بالجزء الحديثي وهو في اصطلاحهم (تأليف الأحاديث المروية عن رجل أحد سواء كان ذلك من طبقة الصحابة أو من بعدهم)[2].

وقيل في تعريفه أنه كل كتاب صغير جمع فيه مرويات روای واحد من رواة الحديث ، أو جمع فيه ما يتعلق بموضوع واحد ، على سبيل الاستقصاء مثل جزء رفع اليدين في الصلاة للإمام البخاري[3].

كما أن يطلق الجزء على التأليف الذي يدرس أسانيد الحديث الواحد ويتكلم عليه مثل اختيار الأولى شرح حديث الملأ الأعلى[4]

١- أهمية البحث وسبب اختياره:

وترجع أهمية أسباب دراسة هذا الحديث لعدة أمور منها:

(١) ينظر موضع أوهام الجمع والتفريق للحافظ الخطيب البغدادي : ٥/١.

(٢) الحطة في ذكر الصحاح الستة لأبي الطيب صديق حسن القنوجي : ص ٦٨.

(٣) تيسير مصطلح الحديث : ص٢٠٩.

(٤) منهج النقد : ص٢٠٩ والكتاب مطبوع متداول ومن هذه الطبعات ط دار الأقصى – الكويت– تحقيق جاسم الفهيد الدوسري ط الأولى ١٤٠٦هجية.

١- التشرف بخدمة سنة نبينا ﷺ، والعمل في حقلها، والاغتراف من معينها، والوفاء والحب لها مما يكون سببًا للسعادة في الدنيا والآخرة.

٢- حاجة الناس إلى معرفة سنة نبيهم ﷺ ، وبخاصة الصحيح منها والحسن مما يقوى حبهم لنبيهم ﷺ واستمساكهم بالاقتداء به والتحلي بأخلاقه.

٣- محاولة تقريب هذا النوع من الأحاديث للخاصة والعامة إن شاء الله تعالى.

٤- العمل على مساعدة إخواننا من الدعاة والمربين في كيفية التعامل مع مثل هذه الأحاديث.

٥- بيان الأحاديث الصحيحة من السقيمة التي ينبي عليها كبير فهم وعمل وتطبيق في الحياة العملية المعاصرة وخاصة في زمن الحروب والفتن.

٦- حاجة الأمة إلى وحدة الصف وجمع الكلمة، والتحذير من الفرقة والاختلاف، فدراسة الصناعية الحديثية والتحليلية تعين على فهم ذلك .

٧- الوقوف على معرفة كيفية التعامل مع أبناء فارس والروم وقت المحن والفتن.

٢- الدارسات السابقة :

ومن المؤلفات التي ألفت على طريقتهم هذه مثلاً:

١- منتخب من حديث الذهلي.

٢- فوائد سمويه إسماعيل بن عبد الله الأصبهاني.

٣- الجزء الأول من فوائد أبي بكر القاسم بن زكريا المطرز[١].

٤- جزء في أحاديث يحيى بن معين براوية أبي منصور يحيى بن أحمد الشيباني[٢].

٥- جزء في فضائل مكة والسكن فيها ، للحسن بن يسار البصري ت ١١٠هـ[٣].

٦- جزء البطاقة لمؤلفه حمزة بن محمد الكناني المصري ت ٣٥٧ هـ[٤].

ومن الدراسات الحديثة التي وقفنا عليها:

١- بحث في حديث (زر غبا تزدد حبا – دراسة حديثية نقدية) لمؤلفيه الأستاذ الدكتور وليد محمد الكندري، والأستاذ الدكتور مبارك سيف الهاجري – وقد أجيز للنشر في جامعة الأزهر الشريف بمجلة الشريعة والقانون بطنطا ٢٠٠٥م.

٢- حديث لا ترد يد لامس للأستاذ الدكتور مبارك سيف الهاجري – دراسة نقدية حديثية فقهية – نشر بمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية دولة الإمارات العدد التاسع عشر يونيو ٢٠٠٠م.

وقد سمينا هذا البحث (حديث إذا مشت أمتى المطيطاء – دراسة حديثية

(١) ثلاثتهم تمت طباعتهم ضمن مجموع فيه عشرة أجزاء حديثية ط دار البشائر الإسلامية ط١/١٤٣٢ هجرية تحقيق نبيل سعد الدين جرار.

(٢) طبع بدار المآثر بالمدينة : ط١ – ١٤٢٠هجرية تحقيق د. عبد الله محمد حسن دمفو.

(٣) تحقيق سامي العاني–نشر مكتبة الفلاح – الكويت

(٤) تحقيق عبد الرزاق عبد المحسن البدر – نشر مكتبة دار السلام – الرياض – ط ١ – ١٤١٢هـ

تحليلية في ضوء السنة النبوية الشريفة) ، وقد سلكنا فيه طريقة تجمع بين الدراسة الحديثية والدراسة التحليلية التي بها يظهر معنى الحديث ، ويتضح المراد منه ما يعين على فهمه والعمل به.

٣- خطة البحث :

وقد اشتمل هذا البحث على تمهيد ومبحثين وخاتمة.

أما التمهيد فقد تناولنا فيه أهمية الموضوع وأسباب البحث فيه ، وأهمية السنة النبوية ومكانتها عند علماء الحديث ، وبينا شيئًا من البحوث السابقة وبيان معنى الجزء عند المحدثين.

ثم المبحث الأول : الصناعة الحديثية ، وخصصناه لدراسة إسناد الحديث ، وبيان طرقه وشواهده ، مراعين في ذلك أقوال أهل العلم وقواعد المحدثين في الحكم على الأحاديث .

وجاء المبحث الثاني : الدراسة التحليلية ، وذلك لبيان الجانب التحليلي ، وفقه الحديث وما يستفاد منه .

ثم الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته واشتملت على الفهارس العلمية التي تخدم البحث.

راجين من الله وحده التوفيق والسداد ، والإخلاص والقبول في هذا العمل وصلى الله وسلم وبارك على نبيا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

٤- المشكلة التي يعالجها البحث :

هذا البحث بما فيه من الدراسة الحديثية والتحليلية يحذر من مسألتين خطيرتين وهما:

أ- التحذير من اتخاذ وسائل الكبر والتعالي ، والترف والدعة التي تؤدي إلى الركون إلى متاع الحياة الدنيا الفانية وتقديمها على الحياة الآخرة الباقية .

ب- الحذر من كثرة الاستعانة بأبناء فارس والروم مما يؤدي إلى تسلط الأمة بعضها على بعض ، واستعلاء شرارها على خيارها .

فلذلك لزم الأمر بيان المراد من الحديث بدراسة إسناده والوقوف على متابعاته وشواهده ، ثم الحكم على الحديث ، وبيان فقهه في ضوء النصوص الحديثية الأخرى

٥- منهج البحث :

وقد سلكنا في هذا البحث المنهج التحليلي والاستقرائي وفقا لخطة البحث الآتية :

١- تخريج الحديث وبيان طرقه ومتابعاته وشواهده ، ثم الحكم على الحديث بما تقتضيه القواعد الحديثية .

٢- بيان خلاصة الحكم على الحديث .

٣- الدراسة التحليلية للحديث بعد الحكم عليه ، وذلك باتباع ما يلي :

أ- نقوم بوضع عناصر للحديث حسب اجتهادنا ، على حسب النصوص الواردة

ب- نجمع تحت هذا العنصر الأحاديث الواردة متحرين منها ما هو قابل للحجة كالصحيح والحسن وأما الضعيف فلا نلجأ إليه إلا إذا كان له شواهد تقويه.

ت- نتناول بعض الآيات القرآنية المتصلة بالموضوع ، باعتبار أن السنة شارحة للقرآن ومنهجنا في إيرادها تفسيرها بالمأثور عن رسول الله -ﷺ- أو الصحابة أو التابعين وقد نتعرض – أحيانًا – لكتب التفسير الأخرى على حسب ما تقتضيه طبيعة البحث.

ث- نتناول أقوال العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم في الموضوع، باعتبارهم أفهم الناس بالنصوص ، وأعلمهم بها وأقربهم من زمنها، وأوثق هذه الأقوال بذكر مصادرها ما أمكن.

ج- إذ كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما لا نتوسع في تخريجه وإن كان في غيرهما فأننا نخرجه ، ونبين الحكم على الحديث من حيث الصحة أو الحسن أو الضعف.

ح- تخريج الآيات القرآنية ونضبط الأعلام والألقاب والأنساب بالشكل.

سائلين الله تعالى أن يجعل هذا الجهد مباركا ، والعمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن يغفر لنا خطأنا وإسرافنا في أمرنا ، عليه توكلنا ، وفوضنا أمرنا إليه ، إنه سميع مجيب .

المبحث الأول

الصناعة الحديثية

حديث «إذا مشت أمتي المطيطاء»

- قال الترمذي – رحمه الله تعالى:

حدثنا موسى بن عبد الرحمن الكندي الكوفي، حدثنا زيد بن حباب، أخبرني موسى بن عبيدة ، حدثني عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، قال: قال: رسول الله- ﷺ-:

(إذا مشت أمتي المطيطاء، وخدمها أبناء الملوك، أبناء فارس والروم ، سلط الله شرارها على خيارها) .

قلنا: هذا الحديث يروى عن أربعة من الصحابة:

الحديث الأول: عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما:

١- أخرجه الترمذي في سننه- كتاب الفتن – باب رقم (٦٨) بدون ترجمة – ٣١٤/٤ رقم (٢٤١٤)، بلفظه، من طريق موسى بن عبد الرحمن الكندي الكوفي، حدثنا زيد بن حباب، أخبرني موسى بن عبيدة، حدثني عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعا به.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وقد رواه أبو معاوية عن يحيى بن سعيد الأنصاري.

- وقال الترمذي في حديث رقم (٢١٤٥)، حديثنا محمد بن إسماعيل الواسطى حدثنا معاوية، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر مرفوعا، بنحوه.

- ولا يعرف لحديث أبي معاوية، عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر أصل، أنما المعروف حديث موسى بن عبيدة ، وقد روى مالك بن أنس هذا الحديث عن يحيى بن سعيد مرسلاً، ولم يذكر فيه عن عبد الله بن

دينار عن ابن عمر.

٢- أخرجه ابن المبارك في الزهد – رقم (١٨٧)، من طريق موسى بن عبيد، عن عبد الله ابن المبارك، عن ابن عمر مرفوعًا به.

٣- أخرجه البغوي في شرح السنة – كتاب الرقاق – باب تغير الناس وذهاب الصالحين – ١٤/٣٩٥ – رقم (٤٢٠٠)، من طريق عبد الله بن المبارك به.

وقال: هذا حديث غريب، والمطيطاء: مشية فيها تبختر، ومد يدين، والتمطى من ذلك، لأنه إذا تمطي مدَّ يديه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ﴾ [القيامة آية: (٣٣)]، أي يتبختر.

٤- وابن حبان في المجروحين – ترجمة (موسى بن عبيده الربذي): ٢/٢٤٣، من طريق أبي يعلى، قال: حدثنا أبو خيثمة، قال: حدثنا إسحاق بن سليمان قال سمعت موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعًا به .

وأيضًا رواه في ترجمة (محمد بن خليد بن عمرو الحنفي) – ٢/٣٢٠، من طريق ابن المبارك ، عن محمد بن سوقه ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمرو مرفوعًا من فجعل بدل موسى بن عبيدة محمد بن سوقة، فقلب الأخبار من صنيع محمد بن خليد بن عمرو الحنفي.

٥- وابن عدي في الكامل – ترجمة (موسى بن عبيدة – ٨/٤٧- من طريق على بن أحمد بن علي بن عمران، حدثنا عثمان بن يحيى، حدثنا محمد بن قاسم، حدثنا موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعًا به.

وقال ابن عدي: وهذه الأحاديث لموسى عن عبد الله بن دينار ليست محفوظة.

٦- والعقيلي في «الضعفاء الكبير» – ترجمة (موسى بن عبيدة – ٤/١٦٢ – رقم (١٧٣٢)، بلفظه، من طريق موسى بن عبيدة ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر، مرفوعًا به).

وقال العقيلي: كلها لا يتابع عليها إلا من جهة فيها ضعف.

٧- وأبو نعيم في «أخبار أصبهان – ١/٣٠٨- بلفظه من طريق عبد الرحمن بن محمد بن جعفر، حدثنا أبو الأسود عبد الرحمن بن الفيض، حدثنا الخليل بن محمد، حدثنا روح بن عباده، حدثنا موسى بن عبيدة ، أخبرني عبد الله بن دينار ، قال: قال عبد الله بن عمر مرفوعًا.

٨- أخرجه البراز في مسنده – ١٢-٣٠٢ رقم (٦١٤١) وبلفظ : (إذا مشت أمتي المطيطياء وخدمها بنو فارس والروم سلط عليها عدوها) . أو نحو هذا الكلام، من طريق محمد بن إسماعيل الضرير الواسطي ، حدثنا أبو معاوية، عن يحيى بن سعيد، عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعًا به.

وقال البزار: وهذا الحديث إنما يرون يحيى بن سعيد عن يونس[1]، أن النبي -ﷺ- ولا يعلم تابع محمد بن إسماعيل على هذه الرواية عن أبي معاوية أحد، وإنما يعرف هذا الحديث موسى بن عبيدة ، عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبي -ﷺ-.

٩- والبيهقي في دلائل النبوة – باب: ما جاء في إخباره باتساع الدنيا على أمته حتى يلبسوا أستار الكعبة – ٦/٥٢٥ من طريق موسى بن عبيده، حدثنا عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعًا به.

١٠- وأخرجه الدارقطني في غرائب مالك من حديث مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعًا نحوه وقال غريب والمشهور عن موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعا به [2].

قلنا: إسناد حسن لغيره، فيه موسى بن عبيدة الزبذي وهو ضعيف وقد تابعه يحيى بن سعيد عند الترمذي (التقريب (٩٨٣) رقم (٧٠٣٨)).

قال الألباني رحمه الله: «موسى بن عبيدة ضعيف، لكن متابعة يحيى بن

(١) كذا بالأصل ، وفي التقريب (٩٨٣): يحنس.

(٢) تخريج الكشاف : ٤/١٢٨

سعيد تشهد لصحة حديثه ، وقول الترمذي: «إنه لا أصل له عنه» أراه مجازفة ظاهرة، لأن السند إليه بذلك صحيح، فإن أبا معاوية ثقة من رجال الشيخين، ومحمد بن إسماعيل الواسطي ثقة حافظ، كما قال الحافظ، ومالك كثيرًا ما يرسل ما هو معروف وصله ، كما لا يخفى على العالم بهذا الفن الشريف، على أنه يبدو أنه قد اختلف فيه على مالك، فقد أخرجه نصر المقدس في (المجلس ٣٤٧) من الأمالي من طريق القعنبي عبد الله بن مسلمة بن قعنب، قال حدثنا مالك عن يحيى بن سعيد ، عن يحنس مولى الزبير مرفوعًا به إلا أنه قال: «سلط بعضهم على بعض» فزاد في السند يحنس هذا[1].

- أقوال أهل العلم في الراوي موسى بن عبيدة الربذي:

قال فيه البخاري : منكر الحديث قاله أحمد بن حنبل ، وقال على بن المديني وابن القطان كنا نتقيه تلك الأيام[2] ، وقال مسلم : ضعيف الحديث[3] ، وقال يحيى بن معين : ليس بشيء[4] وقال الإمام أحمد: موسى بن عبيدة لا يشتغل به ، وذلك أنه لا يروى عن عبد الله بن دينار شيئًا لا يرويه الناس، وقال: لا تحل الرواية عندي عن موسى بن عبيدة، قلنا: يا أبا عبد الله: لا يحل، قال: عندي ، قال: فإن سفيان وشعبة قد رويا عنه ، قال لو بان لشعبة ما بان لغيره ما روى عنه ، وقال يحيى بن معين : لا يحتج بحديثه وقال : مرة ضعيف ، وقال : وإنما ضعف حديث موسى بن عبيدة لأنه روى عن عبد الله بن دينار أحاديث مناكير ، وقال أبو حاتم : منكر الحديث وسئل عنه أبو زرعة : فقال ليس بقوى في الحديث[5] ، وقال الإمام

(١) السلسلة الصحيحة: ٦٤٣/٢ – رقم (٩٥٦).
(٢) التاريخ الكبير : ٢٩١/٧ (١٢٤١) ، والتاريخ الصغير : ص ١٢٦ رقم (٣٦١).
(٣) الكنى والأسماء : ٦٣٩/١- رقم (٢٦٠١)
(٤) تاريخ ابن أبي خيثمة : ٣٧٣/٢ – رقم (٣٤٤٩).
(٥) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١٥٢/٨ رقم (٦٨٦) ، والكامل في الضعفاء لابن عدى ٤٤/٨ (١٨١٣) وتهذيب الكمال : ١٠٤/٢٩ (٦٢٨٠).

الذهبي ضعفوه توفى ١٥٢ هجرية[1]، وقال ابن حجر: موسى بن عبيدة بضم أوله، ابن نشيط بفتح النون وكسر معجمه بعدها تحتانية ساكنة ثم مهلة ، الربذي بفتح الراء وموحدة ثم معجمه بعد تحتانية ساكنة ثم مهملة الربذي فتح الراء وموحده ثم معجمة أبو عبد العزيز المدني ضعيف ولاسيما في عبد الله بن دينار، وكان عابدًا من صغار السادسة، مات سنة ثلاث وخمسين[2] وخلاصة حاله أنه ضعيف ، ولكن تابعه يحيى بن سعيد في الطريق الآخر عند الترمذي قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الواسطى قال حدثنا أبو معاوية عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن دينار ابن عمر عن النبي ﷺ نحوه.

(١) الكاشف : رقم (٥٧١٥) ، وميزان الاعتدال : ٢١٣/٤ –رقم(٨٨٩٥).
(٢) التقريب : رقم (٦٩٨٩).

الحديث الثاني: يُحنَّس – مولى الزبير – مرسلاً:

١- أخرجه أبو عمر عثمان بن سعيد الداني في «الفتن» – باب: ما جاء في كثيرة الفتن وتواترها وسوء عواقبها – ٢٩٠/١- رقم (٧٠)، بلفظ: (إذا مشت أمتي المطيطاء، وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض) ،من طريق ابن عفان، حدثنا أحمد بن ثابت، حدثنا سعيد بن عثمان ، حدثنا نصر، حدثنا علي بن معبد، حدثنا عبيد الله بن عمرو، عن يحيى بن سعيد، عن يّحنَّسن مولى الزبير مرسلاً به.

٢- والبيهقي في دلائل النبوة – باب: ما جاء في إخباره باتساع الدنيا على أمته حتى يلبسوا أستار الكعبة – ٥٢٥/٦، باللفظ السابق، من طريق أبو طاهرها الفقيه، أخبرنا أبو بكر القطان، حدثنا أحمد بن يوسف، حدثنا محمد بن يوسف، ذكر سفيان ، عن يحيى بن سعيد، عن أبي موسى يحنس مرسلاً.

٣- وابن أبي الدنيا في التواضع والخمول: (موسوعة ابن أبي الدنيا) – ٤١١/٢- رقم (٣٦١٨) (٢٥٣)، باللفظ السابق، من طريق خلف بن هشام، حدثنا حماد بن زيد، عن يحيى بن سعيد، عن يحنس مرسلاً.

قال عبد الله: سمعت ابن الأعرابي يقول: المطيطاء مشية فيها اختيال.

قال الألباني رحمه الله:

- وخالفهم الفرج بن فضالة فقال: يحيى بن سعيد الأنصاري يرفعه، أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث – مادة (مطط): ٢٢٣/١ ، لكن الفرج هذا ضعيف[١]، بيد أن الأصبهاني قد أخرجه في الترغيب عنه يحيى بن سعيد ، عن مولى الزبير ، عن ابن عمر.

- وخالفهم أيضًا حماد بن سلمة ، حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري، عن عبيد بن سنوطا عن خولة بنت قيس مرفوعًا به[٢].

قلنا: إسناده منقطع، لأن يحنس[٣] مولى الزبير أرسله عن النبي -ﷺ- وهو تابعي لم ير النبي – ﷺ- ووصله الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة.

وقلنا الفرج بن فضالة : كان عمرو بن علي وهو الفلاس (كان عبد الرحمن بن مهدي لا يحدث عن فرج بن فضالة ، ويقول حدث عن يحيى بن سعيد الأنصاري أحاديث مقلوبة منكرة، وقال يحيى بن معين ضعيف الحديث ، وقال أبو حاتم صدوق يكتب حديثه ولا يحتج به ، وحديثه عن يحيى بن سعيد فيه إنكار وهو في غيره أحسن حالا وروايته عن ثابت لا تصح[٤]، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن عدى : وله غير ما أمليت أحاديث صالحة وهو مع ضعفه يكتب حديث[٥]، وقال الإمام الذهبي : منكر الحديث[٦].وخلاصة حاله : أنه ضعيف ، منكر الحديث، والله أعلم.

---

(١) التقريب – (٧٨٠) – رقم (٥٤١٧).
(٢) السلسلة الصحيحة: ٦٤٣/٢.
(٣) الثقات لابن حبان: ٥٥٩/٥، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل: ٣١٣/٩- رقم (١٣٥٤) ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلاً.
(٤) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٨٦/٧ ، ٨٥ (٤٨٣).
(٥) ينظر الكامل في الضعفاء ١٤١/٧ وما بعدها (١٥٧٤) ، وتهذيب الكمال ١٥٦/٢٣ – (٤٧١٤)
(٦) المقتني في سرد الكني ١٣/٢ (٥٠٠٢).

الحديث الثالث: من حديث أبي هريرة - ﷺ-:

١- أخرجه الطبراني في الأوسط ٤٨/١ - رقم (١٣٢) و (٣٥٨٧)، بلفظ : (إذا مشت أمتى المطيطاء، وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض)، من طريق أحمد بن يحيى بن خالد بن حيان، حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا ابن لهيعة، عن عمار بن غزية، عن يحيى بن سعيد ، عن يحنس مولى الزبير عن: أبي هريرة مرفوعًا به.

وفي رواية رقم (٣٥٨٧)، صرح ابن لهيعة بالتحديث من عمارة بن غزية.

٢- وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب الزهد - باب فيما يخاف من الغنى - ٤١١/١٠ - رقم (١٧٧٤٥)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن[1].

قال الألباني:

ولعله يعنى أنه حسن لغيره، فإنه في الأوسط من طريق ابن لهيعة، عن عمارة بن غزية ، عن يحيى بن سعيد ، عن يحنس مولى الزبير، عن أبي هريرة- رضي الله عنه - .

قال الألباني: وابن لهيعة سيء الحفظ، وقد جاء بوجه آخر من الاختلاف على يحيى بن سعيد، فلا يصلح للاستشهاد به.

والخلاصة: أنه إذا كان الراجح رواية من قال: يحيى عن يحنس وهو ثقة، فالحديث صحيح سواء كان عن ابن عمر أو غيره[2].

(١) بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد تحقيق عبد الله محمد درويش: ٤١١/١٠.

(٢) السلسلة الصحيحة: ٦٤٥/٢.

٣- وجاء في العلل للدراقطني[1]:

فقال: يرويه يحيى بن سعيد الأنصاري، واختلف عنه، فرواه ابن لهيعة عن عمارة بن غزية عن يحيى بن سعيد، عن يحنس عن أبي هريرة مرفوعًا.

- وقيل: عن ابن لهيعة عن عمارة بن غزية عن يحيى عن ابن يحنس عن أبي هريرة.

- وراه حماد بن عمرو النصيبي عن الثوري عن يحيى بن سعيد عن - يحنس عن أبي موسى عن النبي - ﷺ- والصحيح عن يحيى بن سعيد عن يحنس مرسل عن النبي -ﷺ-.

- وقال الحساني محمد بن إسماعيل ، عن أبي معاوية ، عن يحيى بن سعيد، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر -رضي الله عنهما - عن النبي-ﷺ- حدثنا بذلك أبو عبد الله المحاملي ومحمد بن مخلد عنه، وإنما يعرف هذا من رواية موسى بن عبيده عن عبد الله بن دينار.

٤- الحديث الرابع: حديث خولة بنت قيس - ﷺ-:

أخرجه ابن حبان في صحيحه (الإحسان) - كتاب التاريخ - باب: إخباره عما يكون في أمته من الفتن والحوادث -١١٢/١٥ - رقم (٦٧١٦)، باللفظ السابق. من طريق الحسين بن محمد بن أبي معشر، حدثنا عثمان بن يحيى القرقساني، حدثنا مؤمل بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري، عن عبيد سنوطا[2] ،عن خولة بنت قيس مرفوعا به.

قلنا: إسناده ضعيف، فيه عثمان بن يحيى القرقساني لم يؤثقة غير المؤلف[3].

(١) العلل: ١٧٣/١١٠ و ١٧٤.

(٢) سنوطاً: بفتح السنين، هو الكوسج الذي لا لحية له أصلاً ، أو كان خفيف العارضين فهو سِناط وسنوط (النهاية - مادة (سنط): (٤٤٨)، والمعجم الوسيط: (٤٥٤/١).

(٣) الثقات: ٤٤٥/٨.

ومؤمل بن إسماعيل البصري، صدوق سيء الحفظ[1].

ومؤمل بن إسماعيل هو القرشي العدوى أبو عبد الرحمن البوى نزيل مكة مولى آل عمر بن الخطاب، وقيل مولى بني بكر بن عبد مناة بن كنانة ، روى عن إبراهيم بن يزيد الخوزي ، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وروى عنه أحمد بن إبراهيم الدورقي ، وأحمد بن حنبل ، وإسماعيل بن راهويه ، وغيرهم.

وثقة يحيى بن معين ، وقال أبو حاتم : صدوق شديد في السنة كثير الخطأ، وقال البخاري : منكر لحديث ، وقال أبو عبيدة الآجرى: سألت أبا داود عن مؤمل بن سليمان فعظمه ورفع من شأنه إلا أنه يهم في الشيء، وذكر ابن حبان في الثقات، وقال غيره، دفن كتبه فكان يحدث من حفظه فكثر خطؤه ، قال البخاري : مات سنة خمس أو ست ومائتين، وقال ابن حبان وأبو القاسم بن أبي عبد الله بن منده مات سنة ست ومائتين، زاد بن منده في رمضان[2].

خلاصة الحكم على الحديث:

نخلص مما سبق إن الحديث إسناده حسن لغيره، وإلى هذا ذهب الهيثمي في مجمع الزوائد، وأيده المحدث الألباني في السلسلة ، والمحدث شعيب الأرناؤوط في تحقيق سنن الترمذي.

وملخص القول: أن موسى عبيدة ضعيف، لكن متابعة يحيى بن سعيد تشهد لصحة الحديث، وقلنا لا يلتفت لقول الترمذي عن رواية الواسطى عن أبي معاوية عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أنه لا أصل له، مع التسليم

(١) التقريب (٩٨٧) – رقم (٧٠٧٨)

(٢) تنظر ترجمته في تهذيب الكمال: ١٧٦/١٩ (٦٣١٩)، والكاشف (٥٧٤٧) وقال أبو زرعة في حديثه خطأ كثير كما في الميزان ٢٢٨/٤ (٨٩٤٩) وغيره. وينظر تهذيب التهذيب ٣٨٠/١٠ (٦٨٢)، وخلاصة حالة أنه صدوق سيء الحفظ كما في التقريب (٧٢٠٩).

بأن طريق موسى بن عبيدة ضعيف، لكن شاركه في المتابعة يحيى بن سعيد فأصبح حسنا لغيره، أضف إلى هذا وجود الشواهد الأخرى كمرسل يُحنِّس الذي وصله الطبراني في الأوسط، وشاهد خولة بنت قيس عن قيس عند ابن حبان، فهذه الشواهد تعضد الحديث، وتزيده قوة إلى قوته، وذلك لأن الضعف في أسانيدها ضعف محتمل ومنجبر، لأنه ضعف في الضبط، لا ضعف في العدالة، إذ ليس فيمن تكلم فيه كذاب ، أو متهم بالكذب ، أو منكر الحديث ، وعلى هذا يكون الحديث حسنا لغيره، لأن الحديث الضعيف إذا ضم بعضه إلى بعض فإن الحديث يكون حسنا لغيره بشواهده.

المبحث الثاني

الدراسة التحليلية

لحديث إذا مشت أمتى المطيطاء

وبعد النظر في إسناد هذا الحديث وما أداه إليه الاجتهاد في الحكم عليه بأنه حديث حسن لغيره ، بقى النظر في فهم هذا الحديث المبارك الذي هو علم من أعلام نبوته ﷺ.

أولاً: معنى المطيطاء:

قال ابن الأثير بالمد والقصر: مشية في فيها تبختر، ومد اليدين يقال: مطوت ومططت، بمعنى مددت، وهي من المصغرات التي لم يستعمل لها مكبر[1].

وقال الأصمعي وغيره: المطيطاء : التبختر ومد اليدين في المشي والتمطي من ذلك لأنه إذا تمطي مد يديه ، ويروى في تفسير قوله: **«ثم ذهب إلى أهله يتمطى»** أنه التبختر[2].

ومعناه: كراهية هذه المشية ، وما فيها من تبختر وتباطؤ وزهو وكبر وخيلاء ،والله أعلم.

ثانيًا: المعنى العام للحديث:

قال صاحب مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الإمام على بن سلطان القارئ المتوفى ١٠١٤هـ (إذا مشت أمتى المطيطياء) بضم الميم وفتح المهملة الأولى وكسر الثانية وممدودة وتقصر، بمعنى: التمطي، وهو المشي فيه التبختر ومد اليدين، ويرى بغير الياء الأخيرة، وهو لفظ الجامع، ونصبه على أنه مفعول مطلق أي: مشي تبختر، وقيل إنه حال، أي: إذا صاروا في نفوسهم متكبرين وعلى غيرهم متجبرين، (وخدمتهم) وفي الجامع: خدمها، وهو الأنسب بالسابق واللاحق،

(١) ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٤٠/٤.
(٢) ينظر غريب الحديث ٢٢٣/١ وغيره.

والمعنى قام بخدمتهم وانقاد في حضرتهم **«أبناء الملوك أبناء فارس والروم»** بدل مما قبله وبيان له، «سلط الله شرارها» ولفظ الجامع: سلط شرارها، أي: ظلمة الأمة **«على خيارها»** أي: مظلومهم – قال الشراح: وهذا الحديث من دلائل نبوته – صلى الله تعالى وسلم: لأنه أخبر عن المغيب، ووافق الواقع خبره، فإنهم لما فتحوا بلاد فارس والروم، وأخذوا أموالهم وتجملاتهم وسبوا أولادهم فاستخدموها، سلط الله قتلة عثمان – ﷺ– عليه حتى قتلوه، ثم سلط بني أمية علي بن هاشم، ففعلوا ما فعلوا[1].

وهذا – والله أعلم – تفسير للحديث ببعض ما ينطبق عليه ولا يمنع وقوع التسلط كلما وقع الاستخدام لهم على النحو المذموم شرعًا ، وهذا الحديث علم من أعلام نبوته–ﷺ– وهو مع كونه كذلك إلا أن فيه التحذير من كل ما يؤدي إلى حصول البلاء بتسلط الأمة بعضها على بعض ، أو تسلط شرارها على خيارها قال تعالى ﷻ: ﴿رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس آية: (٨٥ – ٨٦].

ثالثًا: نظرة في فهم هذا الحديث:

وقد حصل في الواقع استخدام للفرس والروم لاسيما بعد إسلامهم وقد أبلى كثير منهم في الإسلام بلاء حسنا حتى ذكر ابن خلدون في تاريخه[2] (أن حملة العلم في الإسلام أكثرهم العجم) ، وذكر كذلك عن استظهار أهل السياسة بهم وتقوية ملكهم بالاستعانة بهؤلاء العجم من الفرس والروم وغيرهم فقال (ويكون استظهارهم حينئذ على سلطانهم ودولتهم المخصوصة إما بالموالى والمصطنعين الذين نشئوا في ظل العصبية وغيرها وإما بالعصائب الخارجين عن نسبها الداخلين

(١) ينظر مرقاة المفاتيح ٣٣٦٢/٨ ونحوه في تحفة الأحوذي لعبد الرحمن المباركفوري ت ١٣٥٣هـ : ٤٤٦/٦ وغيره.
(٢) ينظر تاريخه ٤٤٧/١ الفصل الثالث والأربعين.

في ولايتها ، ومثل هذا وقع لبني العباس فإن عصبية العرب كانت فسدت لعهد دولة المعتصم وابنه الواثق واستظهارهم بعد ذلك إنما كان بالموالى من العجم والترك والديلم والسلجوقية وغيرهم ثم تغلب العجم الأولياء على النواحي وتقلص ظل الدولة)[1]. فكيف نفهم هذا الحديث في ضوء استخدامهم وحصول ذلك في تاريخ الأمة قديما وحديثا؟

والحق الذي يظهر لنا - والحق عند الله فيه- أن هذا الحديث يحذر من كل وسائل الكبر والترفه والدعة التي تؤدي إلى الركون إلى الدنيا ، والإخلاد فيها والحرص عليها والإكثار من استخدام الفرس والروم والاستعانة بهم على نحو فيه ترف وسيطرة للدنيا على القلوب مما يلزم منه ترك الفرائض والتساهل في المحرمات ، وترك العنان للنفس في شبهاتها وشهواتها وهما أوسع ميدانين لفشو البدع والانحراف والإفساد، لاسيما وقد قرن -ﷺ- خدمتهم للمسلمين بتحذير من مشية الكبر والاختيال ويدخل فيها كل وسيلة تؤدي إلى هذا الكبر المذموم شرعا والله أعلم.

رابعا : الأحاديث الواردة في معنى هذا الباب :

ويمكن أن نذكر بعض الأحاديث الواردة في معنى هذا الباب ومنها ما يلي:

١- ما جاء عن ابن عمر أن النبي-ﷺ- قال: «إذا ضن الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة، واتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله، أنزل الله بهم بلاء فلا يرفعه حتى يراجعوا دينهم»[2]

---

(١) السابق ١/١٩٤ وبعدها.

(٢) رواه أبو داود في سننه كتاب البيوع باب في النهي عن العينة ٢٩١٣ رقم (٣٤٦٤) ، ومن طريق البيهقي في سننه الكبرى باب ما ورد في كراهية التبايع بالعينة ٣١٦٥ رقم (١١٠١٧)، والدولابي في الأسماء والكني ٧١٥ رقم (١٠٩٠)، والبزار في مسنده ٢٤٨٢ رقم (٥٨٨٧) وقال عن إسناده: ولا نعلم أسند عطاء الخراساني عن نافع غير هذا الحديث وإسحاق هو عندي: إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وهو لين الحديث.

وفي لفظ آخر عند أبي داود وغيره «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر ، وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم»[1]

٢- وفي حديث طويل في البخاري وغيره عن ابن عباس -ﷺ- وفيه أن عمر قال لرسول الله -ﷺ- «أدع الله فليوسع على أمتك فإن فارس والروم وسع عليهم، وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله ، وكان متكئا فقال أو في شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا»[2].

٣- ومن ذلك ما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما- عن رسول الله -ﷺ- أنه قال: «إذا فتحت عليكم فارس الروم أي قوم أنتم ؟ قال عبد الرحمن بن عوف نقول كما أمرنا الله، قال رسول الله -ﷺ- أو غير ذلك، تتنافسون ، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون ، أو نحو ذلك ثم

وتعقبه ابن القطان بقوله: ووهم البزار في تفسير هذا الرجل بأنه ابن أبي فروة ، وذلك أنه لما ذكر هذا الحديث قال بأثره: إسحاق عندي. وإنما لم يكن منه هذا صوابًا؛ لأن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ويكني أبا سليمان، وراوى هذا الحديث خراساني ويكنى أبا عبد الرحمن وأيهما كان فالحديث من طريق لا يصح ولها طرق أحسن من هذا.. ذكرها. ثم قال: وللحديث طريق أحسن من هذا بل هو صحيح، وهو الذي قصدنا. أ.هـ ينظر بيان الوهم والإيهام ٢٩٦٥ رقم (٢٤٨٤)، وينظر: بلوغ المرام ٣١٩١ رقم (٨٤١).

(١) رواه أحمد في مسنده ٨/ ٤٤٠ - رقم (٤٨٢٥)، والطبراني في الكبير ١٢ / ٤٣٢ رقم (١٣٥٨٥)، رواه ٤٣٢١٢ رقم (١٣٥٨٥)، والبيهقي في الشعب في باب الجهاد ١٢٤ رقم (٤٢٢٤) وفي باب الجود والسخاء ٤٣٤٧ رقم (١٠٨٧١)، وأبو يعلى في مسنده - ٢٩/١٠ رقم (٥٦٥٩)، والروياني في مسنده - ١١٧/٤ - رقم (١٤١١)، وقوى إسناده من طريق أحمد في الزهد الإمام ابن القطان في بيان الوهم والإيهام - ٢٩٦/٥ ، وكذا الزيلعي فقد قال: وهذا حديث صحيح ورجاله ثقات. أ.هـ. كما في نصب الراية - ١٧/٤ وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب المظالم - باب الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها - رقم (٢٤٦٨).

ورضوا بالإقامة فيها والتمتع بشهواتها، وتركوا الاستعداد للآخرة التي أمرهم بالجد والاجتهاد في طلبها[1] وقد قال الله عز وجل: ﴿ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾[التوبة آية: (٣٨)] أي: ما لكم فعلتم هكذا أرضا منكم بالدنيا بدلاً من الآخرة.)

ثم زهد الله تبارك وتعالى في الدنيا، ورغب في الآخرة، فقال: ﴿ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾(٢) [التوبة آية: (٣٨)].

والخلاصة: أن الذم في الحديث وغيره متعلق بكل وسيلة تؤدي إلى الكبر والترفه والحرص على الدنيا وإهمال الآخرة ، أما إذا كان طلب الدنيا للتنعم المباح في غير معصية ولا تكبر ونحوه استخدام الفرس والروم فلا يدخل في الذم وقد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف آية: (٣٢)]

أي قل يا محمد: لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما يحرمون بآرائهم الفاسدة وابتداعهم: ﴿ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾ أي: هي مخلوقة لمن آمن بالله وعبده في الحياة الدنيا، وإن شركهم فيها الكفار حسًا في الدنيا، فهي لهم خالصة يوم القيامة، لا يشركهم فيها أحد من الكفار، فإن الجنة محرمة على الكافرين[3].

خامسا : ما يستفاد من الحديث:

١- خطورة المعصية وأثرها في زوال النعم.

٢- التحذير من التنافر بين الأمة وتسلط بعضها على بعض.

(١) جامع العلوم والحكم ٣٨١/٢ وما بعدها.
(٢) تفسير ابن كثير ١٥٣/٤.
(٣) تفسير ابن كثير : ٤٠٨/٣.

تنطلقون في مساكن المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض»[1].

٤- ومنه ما جاء عن أبي هريرة-ﷺ- عن النبي-ﷺ- قال: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها، شبرا بشبر، وذراعا بذراع، فقيل يا رسول الله! كفارس والروم؟ فقال : ومن الناس إلا أولئك»[2].

٥- وعن جابر قال اشتكى رسول الله-ﷺ- «فصلينا وراء وهو قاعد، وأبو بكر يسمع الناس تكبيره، فالتفت إلينا فرآنا فأشار إلينا فقعدنا، فصلينا بصلاته قعودا، فلما سلم، قال إن كدتم آنفا لتفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود ، فلا تفعلوا ائتموا بأئمتكم إن صلى قائمًا فصلوا قياما وإن صلى قاعدًا فصلوا قعودًا» [3].

قال الإمام النووي - رحمها الله تعالى - فيه النهى عن قيام الغلمان والتُّبَّاع على رأس متبوعهم الجالس لغير حاجة ، وأما القيام للداخل إذا كان من أهل الفضل والخير فليس من هذا بل هو جائز، وقد جاءت به أحاديث وأطبق عليه السلف والخلف وقد جمعت دلائله وما يرد عليه في جزء وبالله التوفيق والعصمة [4].

وما أحسن قول الحافظ بن رجب الحنبلي - رحمه الله- فقال(ووعد - أي النبي-ﷺ- من اتبعه بفتح بلاد فارس والروم وأخذ كنوزها ، وحذرهم من الاغترار بذلك ، والوقوف معهم وأمرهم بالتجزى في الدنيا بالبلاغ ، وبالجد والاجتهاد في طلب الآخرة والاستعداد لها فوجدوا ما وعدهم به كله حقا فلما فتحت عليهم الدنيا كما وعدهم اشتغل أكثر الناس بجمعها واكتنازها والمنافسة فيها،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الزهد - ولم يذكر اسم الباب - (٢٩٦٢) (٧).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب : قولب النبيﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم - رقم (٧٣١٩) وغيره.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه -كتاب الصلاة - باب : ائتمام المأموم بالصلاة - رقم (٤١٣) (٨٤).
(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم : ١٠١/٤.

٣- خطورة الترف.

هذا على سبيل الإجمال ، وأما على سبيل التفصيل فهو كما يلي :

١- خطورة المعصية وأثرها في زاول النعم:

خلق الله تعالى الإنسان وكرمه واصطفاه وهداه وفضله على كثير ممن خلق تفصيلاً ، والله سبحانه وتعالى أودع في هذه النفس الإنسانية صفات معينة ، وهذه الصفات التي فطرت عليها النفس البشرية أنها لا تسلم من خطأ وقصور وانحراف بسبب شبهة أو شهوة ، والوقوع في المعصية أمر لازم من لوازم النفس البشرية طبعت وجبلت على ذلك، فالإنسان كما خلقه الله فيه عقل وروح وغرائز وشهوات فعقله وروحه بالتزكية والتهذيب يسمو ويعلو ، وبدون ذلك تشده غرائزه وشهواته إلى ما يهلكه وتنغص حياته ، وهناك معركة شديدة بين ما يقربه من ربه وبين ما يبعده عنه وبقدر اجتهاد وانتصاره على نفسه يتمكن من الوصول إلى مرضاة ربه سبحانه وتعالى - ومن رحمة الله عز وجل أن ساعده في هذه المعركة لتتحقق كرامته وتعلوا نفسه وتسمو روحه، وذلك بإمداده بالوحي الذي أنزل على الرسل وبمقدار تقبله لهذا العون والتوفيق الإلهي يكون انتصاره .

وبالجملة فإن جميع الشرور والعقوبات التي يتعرض لها العباد في الدنيا والآخرة سببها ما يقعون فيه من المخالفات والمنكرات ، بل إن شؤم المعصية يمتد إلى من حوله ، (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) (الأنفال / ٢٥).

قال البيضاوي : اتقوا ذنبا يعمكم أثره كإقرار المنكر بين أظهركم ، والمداهنة في الأمر بالمعروف ، وافتراق الكلمة ، وظهور البدع ، والتكاسل في الجهاد ، على أن قوله لا تصيبن إما جواب الأمر على معنى أن أصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة بل تعمكم) [١] .

(١) تفسير البيضاوي : ٥٥/٣ .

قال أبو هريرة-ﷺ- **«إن الحباري لتموت في وكرها من ظلم الظالم»**[١].

وقال مجاهد: إن البهائم تلعن عصاه بني آدم إذا اشتدت السنة وأمسك المطر، وتقول هذا بشؤم معصية ابن آدم[٢].

والحجر الأسود خير مثال على أن المعاصي لا يقتصر أثرها وضررها على فاعلها، بل تتعدى إلى الأرض والجماد ، فعن ابن عباس قال قال رسول الله- ﷺ- **«نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بن آدم»**[٣].

وقال بعض شرح الحديث (هذا الحديث يحتمل أن يراد به المبالغة في تعظيم شأن الحجر وتفظيع أمر الخطايا والذنوب ، والمعنى أن الحجر لما فيه من الشرف والكرامة واليُمن والبركة، شارك جواهر الجنة فكأنه نزل منها، وأن خطايا بني آدم تكاد تؤثر في الجماد فتجعل المبيض منه أسود فكيف بقلوبهم ، أو لأنه من حيث أنه مكفر للخطايا محاء للذنوب كأنه من الجنة، ومن كثرة تحمله أوزار بني آدم صار كأنه ذو بياض شديد فسودته الخطايا ، ومما يؤيد هذا انه كان فيه نقط بيض ثم لازال السواد يتراكم عليها حتى عمّها) [٤].

فنسال الله تعالى أن يتوب علينا وعلى المسلمين ، وأن يرفع عن الأمة البلاء ، وأن يعصمنا من السوء والزلل ، إنه أرحم الراحمين ويحب التوابين

(١) أخرجه الطبري في تفسيره - ١٢٦/١٤ ، والبيهقي في شعب الإيمان ٥٤/٦ -(٧٤٧٩) من رواية أبي سلمة عن أبي هريرة: إنه سمع رجل يقول به.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٥٥/٢.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه - كتاب الحج- باب ما جاء في فضل الحجر الأسود والركن والمقام- ٣ / ٢٢٦ - رقم (٨٧٧) وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي كتاب مناسك الحج - باب ذكر الحجر الأسود ٥/ ٢٦٦ - رقم (٢٩٥٣)، وأحمد بن حنبل في مسنده ١/ ٣٠٧ - رقم (٢٧٩٦) .

(٤) تحفة الأحوذي : ٥٢٥/٣.

والمتطهرين . والله أعلم.

٢- وفي حديث الباب تحذير من التنافر بين أبناء الأمة وتسلط بعضهم على بعض:

قال الله تعالى:﴿ قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام آية: (٦٥)].

قال الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - في قوله تعالى: ﴿يَلْبِسَكُمْ﴾: «يخلطكم من الإلتباس»، يلبسوا: «يخلطوا»، شيعا: فرقا»(١).

وروى بسنده عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: « لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ﴾، قال رسول الله-ﷺ- : «أعوذ بوجهك»، قال:«أو من تحت أرجلكم»، قال: «أعوذ بوجهك» ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال رسول الله-ﷺ- «هذا أهون - أو هذا أيسر»(٢).

وروي الإمام مسلم : عن عامر بن سعد عن أبيه-رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- أقبل ذات يوم من العالية، حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين، وصلينا معه، ودعا ربه طويلاً، ثم انصرف إلينا، فقال صلى -ﷺ-: «سألت ربي ثلاثًا، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي: أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطنيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها»(٣).

وفي لفظ - عند الإمام الترمذي - في سننه عن عبد الله بن خباب بن الأرت عن أبيه -رضي الله عنه- قال: «صلى رسول الله-ﷺ- صلاة فأطالها، فقالوا: يا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب تفسير القرآن- باب قوله: قل: هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم- رقم (٤٦٢٨).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه- الكتاب والباب السابقان - رقم (٤٦٢٨) ورواه غيره.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الفتن وأشراط الساعة- باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض- رقم (٢٨٩٠) (٢٠)ورواه غيره.

رسول الله، صليت صلاة لم تكن تصليها، قال: «أجل إنها صلاة رغبة ورهبة، إني سألت الله فيها ثلاثًا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألته أن لا يهلك أمتي بسنة فأعطانيها،وسألته أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها ، وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها»(١).

وعن ثوبان -رضي الله عنه-قال: قال رسول الله -ﷺ-: «إن الله زوي لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارهم - أو قال: من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبى بعضهم بعضًا»(٢).

ففي هذه الأحاديث وغيرها دليل على وقوع هذا الأمر القدري في الأمة، ولكنها مأمورة شرعًا باتقائه وتخفيف آثاره ما وسعها ذلك ، وقد أفاد حديث الباب أن من أسباب تسلط الأمة بعضها على بعض أو تسلط أشرارها على خيارها ما يقع منها من مخالفة الأمر الشرعي فإذا اعتصمت بالكتاب والسنة تمسكت بأسباب النجاة والوقاية.

قال تعالى:﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا

(١) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب أبواب الفتن -باب ما جاء في سؤال النبي -ﷺ- وسلم ثلاثًا في أمته ٤/٤٧٧ - رقم (٢١٧٥) وقال هذا حديث حسن صحيح وفي الباب عن سعد، وابن عمر.
(٢) أخرجه الترمذي في سننه -الكتاب والباب السابقان- ٤/٤٧١ - رقم (٢١٧٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران آية: (١٠٣)].

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلاَ تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ﴾ [المائدة آية: (٦٨)].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - (أي: إذا أقمتموها حق الإقامة، وآمنتم بها حق الإيمان، وصدقتم ما فيها من الأخبار بمبعث محمد -ﷺ- ونعته وصفته والأمر بإتباعه ونصره ومؤازرته، قادكم ذلك إلى الحق واتباع الخير في الدنيا والآخرة) (١).

قال أبو بكر بن سعدان: (الاعتصام بالله هو الامتناع من الغفلة والمعاصي والبدع والضلالات) (٢).

وقد أمر الله تعالى في كتابه بالاعتصام بحبله بعد الأمر بتقواه، فأشعر أن الاعتصام بحبل الله هو تقوى الله حقًا وأن ما سوى ذلك تفرقه لقوله (ولا تفرقوا)(٣)، وبوب الإمام البخاري في صحيحه ك الاعتصام بالكتاب والسنة وفيه عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-أنه سمع عمر-رضي الله عنه- الغد حين بايع المسلمون أبا بكر واستوى على منبر رسول الله-ﷺ-، تشهد قبل أبي بكر فقال: «**أما بعد، فاختار الله لرسوله-ﷺ- الذي عنده على الذي عندكم، وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسولكم، فخذوا به تهتدوا، وإنما هدى الله به رسوله**»(٤).

وفيه عن أبي برزة -رضي الله عنه-قال «**إن الله يغنيكم - أو نعشكم - بالإسلام وبمحمد-ﷺ-**»(٥).

(١) تفسير ابن كثير ٤٠٤/١.
(٢) الاعتصام لأبي إسحاق الشاطبي ص١٢٤.
(٣) الاعتصام ص١٥٠.
(٤) رواه البخاري في صحيحه -كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة- (٧٢٦٩).
(٥) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة- (٧٢٧١).

وعن ابن شهاب قال: بلغنا عن رجال من أهل العلم، أنهم كانوا يقولون:«الاعتصام بالسنن نجاة، والعلم يقبض قبضا سريعًا، فنعش العلم ثابت الدين والدنيا، وذهاب الدين كله في ذهاب العلم»(١).

وذكر الآجرِى في كتاب الشريعة عن ابن عباس - رضي الله عنهما- «**أمر الله المؤمنين بالجماعة ، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة ، وأخبرهم إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله تعالى**».(٢)

وقال أبو عبيد «**الاعتصام بحبل الله هو إتباع القرآن وترك الفرقة**»(٣)

وقد حثت السنة النبوية على الألفة بين أبناء الأمة ، وأمرت بلزوم الجماعة، وحذرت من الفرقة، فعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- قال: «**من أراد بحبوحة الجنة فيلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الإثنين أبعد**»(٤).

وعن الحارث الأشعرى - رضي الله عنه- أن النبي - ﷺ- قال: «**إن الله تبارك وتعالى أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات يعمل بهن ويأمر بني إسرائيل يعملون بهن** - وذكر الحديث بطوله وقال رسول الله -ﷺ-: «**وإنما آمركم بخمس الله أمرني بهن، السمع ، والطاعة، والجهاد ، والهجرة ، والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع**»(٥) وفهما لهذه الأحاديث المباركة وغيرها نجد أصحاب رسول الله-ﷺ- يحثون الأمة على التآلف والتوافق ، والبعد عن التناحر والتشاجر، حسما للشر وتجنبا لكل ما يؤدي إلى

(١) كتاب الزهد لابن المبارك - رقم (٨١٧).
(٢) الشريعة لأبي بكر الآجرى ٢٧١/١.
(٣) شرح السنة : ١٨٩/١ .
(٤) أخرجه الترمذي في سننه - كتاب الفتن-باب ماء في لزوم الجماعة -٤٦٥/٤ - رقم ٢١٦٥ - وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .ورواه غيره
(٥) أخرجه الترمذي في سننه- كتاب أبواب الأمثال -باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة- رقم (٢٨٦٣) ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب .

التسلط والفرقة بين أبناء الأمة وبين بعضهم البعض . يقول ابن مسعود - ﷺ- «**يا أيها الناس، عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به، وما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة**»(١).

وبينت السنة النبوية أن سبب هذا الداء القاتل هو التنافس على الدنيا. فعن أبي هريرة - ﷺ- عن النبي -ﷺ- قال: «**سيصيب أمتي داء الأمم**» فقالوا: يا رسول الله، وما داء الأمم؟ قال: الأشر، والبطر، والتدابر، والتنافس، في الدنيا، والتباغض، والبخل، حتى يكون البغي، ثم يكون الهرج»(٢).

٣- التحذير من الترف:

وفي الحديث تحذير وتنبيه على خطورة الترف المفسد للدين ، وقد جاء في القرآن أن الترف سبب من أسباب هلاك الأمم وبوارها وحلول نقمة الله عليها لأنه غالبًا ما يلازمه الفسوق وارتكاب المحرمات والتساهل في معصية الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً**﴾ [الإسراء آية: (١٦)].

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى- (اختلف القراء في قراءة قوله: ﴿**أَمَرْنَا**﴾ فالمشهور قراءة التخفيف، واختلف المفسرون في معناها، فقيل، معناها أمرنا مترفيها ففسقوا فيها أمرًا قدريًا، كقوله تعالى: ﴿**أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً**﴾ فإن الله لا يأمر بالفحشاء، قالوا، معناه: أنه سخرهم إلى فعل الفواحش فاستحقوا العذاب.

(١) الشريعة لأبي بكر الأجرى باب ذكر أمر النبي -ﷺ- أمته بلزوم الجماعة وتحذيره إياهم الفرقة ١//٢٩٨.

(٢) رواه الحاكم فى المستدرك كتاب البروالصلة٤ /١٨٥وقال هذاحديث صحيح الإسنادولم يخرجاه ووافقه الذهبى، ورواه الطبرانى فى المعجم الأوسط ٢٣/٩ رقم (٩٠١٦). وأورده الهيثمى فى المجمع باب فيما يكون من الفتن ٦٠٠/٧ رقم (١٢٣٦٢) وقال: رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه أبو سعيد الغفارى لم يرو عنه غير حُميد بن هانئ وبقية رجاله وثقوا، وجوّد إسناده العراقى فى تخريج الإحياء م ٤ /٣٢٨

وقيل: معناه: (أمرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش فاستحقوا العقوبة) (١).

وقال ابن جرير: وقد يحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء.

قلت: إنما يجيء هذا على قراءة من قرأ «**أمَّرنا مترفيها**» قال علي بن طلحة، عن ابن عباس قوله: (آمرنا مترفيها ففسقوا فيها) يقول: سلطنا أشرارها فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكتم بالعذاب(٢).

وقال سبحانه وتعالى:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ** ﴾ [سبأ آية: (٣٤ - ٣٥)].

وهم أولى النعمة والحشمة والثروة والرياسة ، قال قتادة: هم جبابرتهم وقادتهم ورؤوسهم في الشر (إنا بما أرسلتم به كافرون) أي لا نؤمن به ولا نتبعه)(٣).

إن الترف جرهم إلى الكفر ورد رسالة الرسل وهو يقود كذلك إلى التجبر والهلاك وترك الحق قال عز من قائل:﴿ **وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾ [هود آية: (١١٦)].

أي كان سبب هلاكهم ما أنعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل أسبابها وأعرضوا عما وراء ذلك. وكانوا مجرمين كافرين كأنه أراد أن يبين ما كان السبب لاستئصال الأمم السالفة، وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر(٤) وقال سبحانه في وصف النار ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ**﴾ [الواقعة آية: (٤٥)] أي (كانوا في الدار الدنيا منعمين مقبلين على لذات أنفسهم، لا يلوون على ما جاءتهم به الرسل) (٥).

(١) تفسير ابن كثير ٦١/٥.
(٢) تفسير ابن كثير ٥٦٢/٥.
(٣) السابق ٥٢١/٦.
(٤) تفسير البضاوي ١٥٢/٣.
(٥) تفسير ابن كثير ٥٣٨/٧.

وقيل: متمتعين[1]:

وجاء في السنة النبوية ما يدل على كراهية الترف والتنفير منه ، ومن ذلك ما جاء في مستدرك الحاكم عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما– قال: كنا مع رسول –ﷺ– في غزوة له، ففزع الناس، فخرجت وعليَّ سلاحي، فنظرت إلى سالم مولى أبي حذيفة عليه سلاحه يمشي وعليه السكينة، فقلت: لاقتدين بهذا الرجل الصالح حتى أتى، فجلس عند باب رسول الله – ﷺ– وجلست معه، فخرج رسول الله–ﷺ– مغضبًا، فقال: «**أيها الناس، ما هذه الخفة ؟ ما هذا الترف ؟ أعجزتم أن تصنعوا كما صنع هذان الرجلان المؤمنان**»[2].ولا ينبغي له اتخاذ الترف عادة دائمة فيعتاده ولايستطيع أن يصبر عنه.

والخلاصة أن الترف له عواقب وخيمة في الملبس والمأكل والمشرب ونحوه ولاسيما مع قلة العلم والخشية والبصيرة بضوابط الشرع ، فإنه يفضى إلى الكسل والضعف وعدم مقاومة الناس ما يضرهم في دينهم ودنياهم ، ويفضى كذلك إلى السعي إل المحرم واقتحام حدود الله والجرأة على انتهاك حرماته وهذا الحديث المبارك يعالج في الأمة هذا الداء العضال.

اللهم أحفظنا واعصمنا من الفتن وجنبنا الأهواء وارزقنا التمسك بكتابك وسنة نبيك محمد –ﷺ– واهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

* * *

(١) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب التفسير– سورة الواقعة – ٦٢٥/٨ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك – كتاب المعرفة – باب شركة عبد الله بن عمرو وغزوة صفين بأمر أبيه – ٦٧٧/٤ – رقم (٦٣٠١) وقال :هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، له الحمد في الأولى والآخرة ، والحمد الذي يسر لنا هذا لخدمة سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، كم نسأل الله تعالى أن يجعل هذا البحث إضافة جديدة في كيفية التعامل مع تحديات الأمة المعاصرة في المجال السياسي والعلاقات الدولية الخارجية وعلاجها في زمن الحروب والفتن .

ملخص البحث :

يهدف البحث إلى دراسة حديث (إذا مشت أمتي المطيطاء ...) وبيان صحة الحديث من ضعفه ، والوقوف على طرقه ومتابعاته وشواهده ، ثم الحكم على الحديث حسب ما تقتضيه القواعد الحديثية . كما يرشد هذا الحديث بأنه علم من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم لما فيه من تحذير الأمة الإسلامية من استمراء وسائل التكبر والخيلاء ، واتخاذ ألوان الزينة ومختلف وسائل الراحة والترف التي تؤدي إلى الركون للحياة الدنيا وتفضيلها على الحياة الآخرة ، والنهي عن كثرة الاستعانة بأبناء فارس والروم لئلا يكون سببا في تسلط أبناء الأمة بعضهم على بعض وعند هذا التفرق والتناحر يؤدي إلى تمكين ملك أبناء فارس والروم في الأرض وظهورهم على أبناء الأمة الإسلامية ، فيجعلوا من أبناء الأمة الإسلامية من يحقق أغراض وأهداف أبناء فارس والروم ويعملوا جاهدين لاتساع هوة الاختلاف والتشاجر وانتشار الفساد بين أبناء الأمة الإسلامية حتى تكون لهم الغلبة والحكم في الأرض ، لذا لزم في هذا البحث أن ينبه أبناء الأمة الإسلامية لما سيحدث في المستقبل من أبناء فارس والروم تجاههم ليأخذوا حذرهم وأسلحتهم المادية والمعنوية في التعامل مع أعداء الإسلام وخصومهم .

أهم النتائج :

١- التأكيد على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم فيما أخبر امته ليأخذوا حذرهم وأسلحتهم

٢- ذم الحديث أن تتخذ الأمة الإسلامية وسائل الكبر والترفه والحرص على الدنيا وإهمال الآخرة .

٣- التحذير من الوقوع في المخالفات والمنكرات ، وإن شؤم المعصية ، وافتراق الأمة ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تعجل نزول العقوبة الإلهية .

٤- الدعوة إلى تماسك الجبهة الداخلية والخارجية للأمة الإسلامية ، والعمل على وحدة كلمتها ، وجمع صفها والاعتصام بحبل الله جميعا .

٥- الحث على وسائل الألفة بين أبناء المسلمين ، ولزوم الجماعة المسلمة ، والبعد عن التناحر والتنافر بين أبناء الأمة الإسلامية ، وتسلط بعضهم على بعض من أجل طاعة الدنيا .

أهم التوصيات :

١- عقد اللقاءات والندوات بين علماء الشريعة وبين رجال السياسة لبلورة كيفية التعامل مع أبناء فارس والروم ومن يساندهم من اليهود والنصارى .

٢- تنظيم المؤتمرات الدولية على مستوى العالم العربي والإسلامي لوضع خطة مدروسة ومحكمة لمواجهة التحديات الفارسية والغربية والخروج بمنظومة واضحة المعالم لكيفية التعامل مع الخصوم والأعداء .

٣- توعية ولاة الأمور خاصة والمسلمين عامة عن طريق النصيحة وبيان خطورة الاستعانة بأبناء فارس والروم ، والركون إلى الدنيا وتفضيلها على الآخرة .

فهرس المصادر والمراجع

١- الاعتصام لإبراهيم بن محمد الغرناطي الشهير بالشاطبي ٧٩٠ هـ - تحقيق سليم الهلالي - دار ابن عفان - السعودية - ١٤١٢ هـ- ١٩٩٢ م .

٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي ت ٦٨٥ هـ - تحقيق محمد عبدالرحمن المرعشلي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط-الأولى - ١٤١٨ هـ - ١٩٨٨ م ،

٣- بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ت ٨٠٧ هـ - تحقيق عبد الله محمد الدرويش - دار الفكر - بيروت - الطبعة الأولى -١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

٤- تاريخ الصغير لمحمد بن إسماعيل البخاري ت ٢٥٦ هـ -

٥- التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة - لأبي بكر أحمد بن أبي خيثمة ت ٢٧٩ هـ - تحقيق صلاح بن فتح هلال- نشر دار فاروق الحديثة- القاهرة ط. الأولى - ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٦ م

٦- التاريخ الكبير للحافظ إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري ت: ٢٥٦هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - بدون رقم طبعة ولا تاريخ.

٧- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي للإمام الحافظ أبي العلي محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، ت ١٣٥٣ هـ ، تصحيح عبد الوهاب عبد اللطيف ، مؤسسة القرطبي - مصر ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ.

٨- تفسير القاسمي (محاسن التأويل) العلامة محمد جمال الدين القاسمي ، ت ١٣٢٢ هـ ، تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

٩- تفسير القرآن الكريم ، الحافظ عماد الدين الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، ت

٧٧٤ هـ ، دار الخير ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م .

١٠- تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني – ت ٨٥٢هـ – تحقيق أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني – دار العاصمة – الرياض – السعودية – ط. الأولى – ١٤١٦هـ – ١٩٦٦م.

١١- تهذيب التهذيب ، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ – تحقيق خليل مأمون شيحا وزملاؤه – دار المؤيد – الرياض – الطبعة الأولى – ١٤١٧ هـ –١٩٩٦ م.

١٢- تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحفظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي ت(٧٤٢) هـ تحقيق الدكتور بشار عواد معروف– مؤسسة الرسالة– بيروت –لبنان– الطبعة الخامسة–١٤١٣ه–١٩٩٢م.

١٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبي جعفر بن محمد بن جرير الطبري ، ت ٣١ هـ شركة مطبعة البابي الحلبي ، مصر، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م .

١٤- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي – لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ت : ٢٧٩ ، تحقيق أحمد شاكر ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م

١٥- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديث في جوامع الكلم ، الحافظ زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي ، ت ٧٩٥ هـ، تحقيق : أحمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م.

١٦- الجرح والتعديل للحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ت ٣٢٧هـ – مطبعة مجلس دائرة

المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ط. الأولى – ١٣٧٢هـ – ١٩٥٣م.

١٧- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، ت ٤٥٨ هـ ، تحقيق : الدكتور عبدالمعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٥م .

١٨- ديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون ت ٨٠٨ هـ _ تحقيق خليل شحادة – دار الفكر بيروت – ط . الثانية – ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ،

١٩- الزهد لابن المبارك ت ١٨١ هـ– تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي – دار الكتب العلمية – بيروت – بدون تاريخ .

٢٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ــ السعودية ، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م .

٢١- سنن ابن ماجة ، الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجة ت ٢٧٥هـ – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت – لبنان – بدون طبعة ، بدون تاريخ .

٢٢- سنن أبي داود للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الاشعث السجستاني الأزدي ، ت ٢٧٥هـ – تحقيق : عزت عبيد الدعاس وعادل السيد ، دار الحديث ، بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ ، ١٩٧٣م .

٢٣- السنن الكبرى للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت : ٤٥٨هـ – دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، بدون رقم طبعة ولا تاريخ .

٢٤- سنن أبي داود ، للإمام الحافظ أبي سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، ت ٢٧٥هـ ، تحقيق : عزت عبيد الدّعاس وعادل السيد ، دار الحديث ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٣هـ ــ ١٩٧٣م .

٢٥- السنن الكبرى للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ت (٣٠٣) هـ - إشراف شعيب الأرنؤوط- مؤسسة الرسالة- بيروت- الطبعة الأولى - ١٤٢١-٢٠٠١.

٢٦- سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت ٧٤٨هـ ، تحقيق : الدكتور بشار عوّاد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة التاسعة ، ١٤١هـ ــ ١٩٩٣م .

٢٧- شرح السنة ، الإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ، ت ٥١٦هـ ، تحقيق : زهير الشاويش وشعيب الارناؤوط ، المكتب الإسلامي بيروت ــ لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م .

٢٨- الشريعة ، للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري ، ت ٣٦٠هـ ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م .

٢٩- شعب الإيمان للإمام أحمد بن الحسين أبي بكر البيهقي ت ٤٥٨ هـ - تحيقيق عبد العلي عبد الحميد - نشر مكتبة الراشد بالتعاون مع الدار السلفية بالهند -ط . الأولى - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .

٣٠- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ، ت ٧٣٩هـ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤هـ ــ ١٩٩٣م .

٣١- غريب الحديث ، لأبي القاسم بن سلام الهروي ، ت ٨٣٨هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت- لبنان ، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.

٣٢- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، للإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ - تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز - دار المعرفة - بيروت - لبنان - بدون رقم طبعة - بدون تاريخ .

٣٣- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للإمام محمد بن أحمد الذهبي ت ٧٤٨ هـ - تحقيق محمد عوامة ، وأحمد محمد نمر الخطيب - ط . دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن السعودية - ١٤٢٣ -١٩٩٣ م .

٣٤- الكامل في ضعفاء الرجال للحافظ أبي احمد عبد الله بن عدي الجرجاني-ت ٣٦٥ هـ. تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود-والشيخ على محمد معوض- دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-ط. الأولي- ١٤١٨ هـ-١٩٩٧م.

٣٥- كتاب الثقات للحافظ محمد بن حبان أحمد بن حاتم التميمي البستي - ت ٣٥٤هـ مؤسسة الكتب الثقافية - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند - ط. الأولى - ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٣٦- الكنى والأسماء للإمام أبي بشر محمد بن أحمد الدولابي ت ٣١٠ ه - طبعة دائرة المعارف الهندية - ١٣٢٢ هـ .

٣٧- لسان الميزان للحافظ ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ - تحقيق غنيم بن عباس غنيم - الطبعة الأولى - ١٤١٦ هـ -١٩٩٦ م .

٣٨- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ، للحافظ محمد بن حبان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي البستي - ت ٣٥٤ هـ - تحقيق حمدي عبد المجيد السّلفي - دار الصميعي - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٣٩- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي بن سلطان محمد أبو الحسن الملا الهروي القاري ت (١٠١٤ هـ)- دار الفكر - بيروت - ط . الأولى ١٤٢٢ ه -٢٠٠٢ م

٤٠- مسند أبي يعلي الموصلي ، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي ، ت ٣٠٧هـ ، تحقيق حسين أسد سليم ، دار الثقافة العربية ، دمشق - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

٤١- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة

بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م .

٤٢- المعجم الأوسط ، للحافظ الطبراني ، ت ٣٦٠ هـ ، تحقيق الدكتور محمود الطحان ، مكتبة المعارف ـ الرياض ، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

٤٣- المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت ٣٦٠هـ تحقيق حمدي عبد المجيد السّلفي- دار إحياء التراث العربي- بيروت – لبنان- ط. الثانية – ١٤٠٦ -١٩٨٦م.

٤٤- المقتنى في سرد الكنى للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي – ٧٤٨ هـ – تحقيق محمد صالح عبد العزيز المراد ـ نشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة المنورة – ط. الأولى – ١٤٠٨هـ

٤٥- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، الإمام محي الدين أبو زكريا يحي بن شرف النووي ، ت ٦٧٦، دار الخير ، بيروت – الطبعة الأولى – ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .

٤٦- موضح أوهام الجمع والتفريق لخطيب البغدادي – تحقيق عبد الرحمن اليماني – طبعة دائرة المعارف العثمانية – ١٣٧٨ ه – ١٩٧٨م

٤٧- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للحفظ الذهبي ت ٧٤٨ هـ – تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى -١٤١٦ هت – ١٩٩٥ م.

٤٨- نصب الراية لأحاديث الهداية ، الحافظ جمال الدين أبي محمد عبدالله بن يوسف الحنفي الزيلعي ، ت ٧٦٢ هـ ، دار الحديث ، مصر ، بدون رقم طبعة ولا تاريخ .

٤٩- النهاية في غريب الحديث والأثر ، أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير) ، ت ٦٠٦ هـ ، تحقيق : طاهر الزاوي ومحمود الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ـ لبنان، بدون رقم طبعة ولا تاريخ .

فهرس الموضوعات

١- المقدمة ٥٧١
أهمية الموضوع وسبب اختيار البحث ٥٧٣
- الدراسات السابقة ٥٧٥
- خطة البحث..... ٥٧٦٦
- المشكلة التي يعالجها البحث ٥٧٧
- منهج البحث ٥٧٧
٢- المبحث الأول : الصناعة الحديثية ٥٧٩
- الحديث الأول : عبد الله بن عمر رضي الله عنه ٥٧٩
- الحديث الثاني : يحنس مولى الزبير ٥٨٤
- الحديث الثالث : أبو هريرة رضي الله عنه ٥٨٦
- الحديث الرابع : خولة بنت قيس رضي الله عنها..... ٥٨٧
- خلاصة الحكم على الحديث ٥٨٨
٣- المبحث الثاني : الدراسة التحليلية ٥٩٠
- أولا : معنى المطيطاء ٥٩٠
- ثانيا : المعنى العام للحديث..... ٥٩٠
- ثالثا : نظرة في فهم هذا الحديث..... ٥٩١
- رابعًا: الأحاديث الواردة في معنى هذا الباب..... ٥٩٢
- خامسا : ما يستفاد من الحديث ٥٩٥
أولا :التحذير من المعصية ٥٩٦
ثانيا :التحذير من التنافر بين أبناء الأمة ٥٩٧
ثالثا: التحذير من الترف ٦٠٢
٤- الخاتمة ٦٠٥
- ملخص البحث ٦٠٧
٥- فهرس المصادر والمراجع ٦٠٧
٦- فهرس الموضوعات..... ٦١٣

* * *